بسم الله الرحمن الرحيم

أمريكا معزولة ومضطربة بسبب الحرب غير المتكافئة في أفغانستان

وباكستان غير قادرة على الاستفادة من هذا الظرف

الخبر:

بينما تتجه قيادة طالبان وإدارة ترامب نحو عقد "اتفاق السلام"، من الواضح أن أمريكا هي الخاسر الحقيقي في المعركة بعد مرور 18 عاماً من القتال، حيث أنفقت أمريكا ما يقرب من 975 مليار دولار، وفقدت 2219 جندياً، وأكثر من 20 ألف جريح، وفي المقابل، ليس لديها سوى القليل مما أحرزته في أطول حرب خاضتها، باستثناء انسحاب تدريجي يهدف إلى إطالة استخدام بعض القواعد العسكرية، وحتى هذه فهي غير مضمونة أيضا.

التعليق:

كشفت حرب العصابات غير المتكافئة التي خاضتها حركة طالبان ومجموعة من المؤيدين لها، كشفت عن عجز أمريكا عن استخدام قوتها العسكرية الكبيرة لمواجهة المقاومة وتحقيق نتائج سياسية مفيدة كانت تطمح لها. وبدلاً من ذلك، سيطرت طالبان أو تتنافس على أكثر من 50٪ من الأراضي الأفغانية، وبالكاد تسيطر حكومة غاني على ما وراء كابول. ومما يؤكد ضعف أمريكا حقيقة أن طالبان تواصل قتل الجنود الأمريكيين دون تمكن أمريكا من معاقبة طالبان حتى خلال محادثات السلام الجارية.

وتؤكد الحرب الأفغانية على محدودية القوة العسكرية الأمريكية في إيجاد الاستقرار في أفغانستان، ناهيك عن تحويل البلاد إلى معقل للقيم الليبرالية الغربية. وقد كشفت الحرب عن مفارقة الهيمنة الأمريكية والليبرالية. بالنسبة للدول التي تنأى بنفسها عن الليبرالية، فإن الحل الوحيد لأمريكا هو إجبار الشعوب على الخضوع لها، ولكن حتى هذا الخيار أيضاً فشل، فما زالت كل من العراق وأفغانستان معاديتين بشدة لأمريكا.

وتفضيل الهيمنة المطلقة على أعداء أمريكا يعني أن أمريكا تعتمد بشكل كبير على قوتها العسكرية مقارنة بالقوة الناعمة أو الدبلوماسية، وهذا راسخ بعمق في النفس الأمريكية، التي تسعى باستمرار إلى تجنب الإصابات العسكرية عندما يخوض جنودها الحروب الخارجية. وبالتالي، فإن الموقف الافتراضي الذي اتخذته أمريكا ضد أي خصم لها كان بنشر قوتها المدمرة قبل أن تنبت بذور الليبرالية الأمريكية.

وغالباً ما يؤدي استخدام القوة القصوى إلى رفض التدخل الأمريكي من السكان الأصليين، وبطبيعة الحال، تعاني الأمة وتنشر مشاعر معاداة الأمريكيين. وبعد أحداث 11 من أيلول/سبتمبر، أثبتت حروب التدخل في العالم الإسلامي أن أمريكا لم تتعلم من مبدأ كلاوسويتز، والذي ينص على أن "الحرب هي أسلوب من أساليب السياسة من بين أساليب أخرى". وقد فشلت أمريكا في تحقيق نتائج سياسية دائمة في كل مكان تقريباً في البلاد الإسلامية. وحتى الاتفاق النووي الإيراني فقد تبخر، ويسود الموقف نفسه في التعامل مع كوريا الشمالية والصين. وقد قام أوباما بتلخيص إدمان أمريكا على استخدام القوة العسكرية، ووضع سياسة أن "أفضل مطرقة لا تعني بالضرورة أن كل مشكلة هي مسمار".

وفي عهد الرئيس ترامب، أصبح التوجه إلى أن القوة العسكرية ستحقق الهيمنة وأدى ذلك إلى تهميش تصدير الليبرالية الأمريكية إلى الخارج. إن ازدراء ترامب للدبلوماسية جعل العلاقات الدولية تقوم على فهم أن التخويف والعنف الشديد هما الأداة الوحيدة المتبقية في صندوق الأدوات الأمريكية لممارسة القيادة العالمية، وقد عبّر بريجنسكي عن أسفه من أن الهيمنة الأمريكية لا يمكن أن تستمر على الصعيد العالمي إلا إذا وسّعت أمريكا من جاذبيتها الأيديولوجية وتفهمت مخاوف الدول الأخرى، في المناخ الحالي، فإنه يبقى هذا طموحاً مثالياً.

لقد أدت معايير الحماية الإضافات الجديدة إلى عالم أمريكا، أدت إلى إثارة الانقسامات العميقة بين القيادة السياسية في واشنطن وجنرالات الجيش الذين يخوضون الحروب، حيث يحتفظ السياسيون برغبة أمريكا في الانتصار، وقدّموا لشعوبهم رواية أن الحروب في العراق وأفغانستان كانت لتعزيز القيم الليبرالية. وفي الوقت نفسه، ركز مسؤولو الجيش بشكل حصري طاقاتهم على تدمير خصوم أمريكا لضمان تفوق أمريكا على أي قوة أخرى. وثبت أن القاسم المشترك المتمثل في السعي إلى الهيمنة غير كافٍ لتوحيد القيادة السياسية والعسكرية الأمريكية. لذلك أدت الاختلافات بين النخبة السياسية وكبار ضباط الجيش إلى عزل أمريكا دوليا وتقليل تأثير النظام الدبلوماسي الأمريكي، وخاصة وزارة الخارجية الأمريكية.

وتحت ضغط الرأي العام الأمريكي للانسحاب من الحروب باهظة الثمن في العراق وأفغانستان، أجرت الإدارات المتعاقبة مراجعات رئيسية للجوانب العملية لاستراتيجية الحرب. وشمل ذلك العديد من التعديلات الخاطئة لخطط الاحتلال، وتخفيضات الميزانية، والحد من الأثر العسكري الأمريكي. وبعد ذلك، اشتبك الجنرالات علنا مع قيادتهم العسكرية، وشككوا في التزام البيت الأبيض في القدرة على تحقيق الهيمنة.

وقد لاحظ الحلفاء والخصوم هذا على حد سواء، وقد تخلى بعض الحلفاء مثل كندا وهولندا عن حماقة أمريكا في أفغانستان، بينما خفّض آخرون مثل ألمانيا وبريطانيا من دعمهم بشكل كبير لدرجة حل القوات المساعدة الأمنية الدولية. وبالمثل، فقد أصبح أعداء أمريكا أكثر جرأة في أفغانستان، مثل حركة طالبان. وقد استغل معارضون آخرون هشاشة القوة الأمريكية لجني مكاسب جديدة وتنميتها، وبالتالي تعزيز قدرتهم التفاوضية، في حين لم تعد موسكو وبكين تتخوفان من احتلال أمريكا لأفغانستان، وبالنسبة إلى هذه الدول، تبدو المساعي الأمريكية لاستخدام أفغانستان لزعزعة استقرار روسيا والصين بعيدة المنال.

ومع ذلك، فإن سلوك باكستان على خلاف سلوك الجهات المذكورة أعلاه. فمن المعروف أن إسلام أباد لديها نفوذ كبير على طالبان وغيرها من الجماعات المسلحة التي تقاتل في أفغانستان. ولكن لسبب غريب، لم تستفد إسلام أباد من هذه الميزة وتنهي وجود أمريكا في أفغانستان بشكل دائم. وفي ذروة الحرب الأفغانية، احتل مئة ألف جندي أمريكي أفغانستان، واليوم لا يوجد سوى 14 ألف جندي أمريكي يواجهون نحو 60 ألفاً من مقاتلي طالبان. ويمكن لباكستان استعادة كل عمقها الاستراتيجي بسهولة من خلال توفير قدر ضئيل من المساعدات لمقاتلي طالبان لتقلب التوازن ضد أمريكا. ولكن حتى الآن، إسلام اباد مترددة في القيام بذلك. وعلى العكس من ذلك، تشير ملامح "صفقة السلام" التي تم تسريبها إلى أن حكومة عمران خان تمد الاحتلال الأمريكي بشريان الحياة، وفي الوقت نفسه تساعد في حملة إعادة انتخاب ترامب. وبفضل التطورات التي حدثت مؤخرا، سارع ترامب للإعلان عن الانسحاب التدريجي لخمسة آلاف جندي أمريكي.

وعلاوة على ذلك، يظل الغموض هو السبب في أن الجيش الباكستاني الذي ضحى بالكثير من أجل الحصول على ميزة استراتيجية ضخمة على أمريكا - وهي ما يشير إليها البعض في واشنطن إلى أن هذه لعبة مزدوجة لباكستان - سيبددها بسرعة كبيرة. وكان باستطاعة كل من خان وباجوا الاستفادة من هذه الميزة الاستراتيجية ويجبروا الأمريكيين وأن يجبروا - على الأقل - مودي بعدم ضم كشمير. وبدلاً من ذلك، أصدرت طالبان بياناً يفصل أفغانستان عن الأحداث في كشمير. وفي هذا الصدد، كان باستطاعة خان وباجوا استخدام المكاسب الاستراتيجية لإزالة باكستان من قائمة مجموعة العمل المالي FATF، وكذلك التفاوض على إعفاء باكستان من ديونها الخارجية وتجنب برامج صندوق النقد الدولي المؤلمة. لكنهم لم يفعلوا شيئاً من هذا، وهذا يثير الشكوك بأن ولاء باجوا وخان يكمنان أولاً لأمريكا، وباكستان أخيراً.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

عبد المجيد بهاتي